

صورة المرض النفسي في التراث الجزائري

د. لكحل مصطفى

أجامعة سعيدة

توطئة :

"ان يكون الفرد انسانا كاملا بما يتضمنه ذلك من ارتباط الفرد بمجموعة من القيم منها صدق الفرد مع نفسه و مع الآخرين . و ان تكون لديه الشجاعة في التعبير عما يراه صوابا . ان يتفانى في اداء العمل الذي يجب ان يؤديه و ان يكتشف من هو ؟ وما الذي يراه ؟ وما الذي يحبه ؟ و ان يعرف ما هو الخير له و ان يتقبل ذلك جميعا دون اللجوء الى حيل دفاعية يقصد بها تشويه الحقيقة "1.

اما اصحاب التحليل النفسي فيرون الصحة النفسية الجيدة هي قدرة الانا على التوفيق بين الاجهزة الشخصية المختلفة و مطالب الواقع او في الوصول الى حل للصراع الذي ينشأ بين اجهزة الشخصية او بين الصراع الذي ينشأ بين الاجهزة و مطالب الواقع.

في حين ان السلوكيون يرون ان الصحة النفسية هي اكتساب الفرد عادات مناسبة و فعالة تساعد في معاملة الآخرين و في مواجهة المواقف التي تحتاج الى اتخاذ القرارات.

و جاء في تعريف المنظمة العالمية للصحة ان الصحة هي حالة السعادة الجسمية و النفسية و الاجتماعية التامة ، و ليس مجرد غياب المرض او العجز او الضعف.

وتعرف الصحة في كل من علم النفس و علم الاعصاب بانها : تتعلق بالتوازن بين الوظائف العقلية و العاطفية مهما كانت هذه الاخيرة متفوقة.2

و قد يكون التعريف الذي قدمه حامد زهران هو خلاصة التعريفات : " يعرف الصحة انها حالة دائمة نسبيا يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا، شخصيا و انفعاليا، و اجتماعيا، يشعر بالسعادة مع نفسه و مع الاخرين و يكون قادرا على تحقيق ذاته و استغلال قدراته و امكانياته الى اقصى حد ممكن، و يكون قادرا على مطالب الحياة، و تكون شخصيته متكاملة، سوية، و يكون سلوكه عاديا بحيث يعيش في سلامة و سلام".

3- تعريف المرض : المرض بصفة عامة هو اضطراب في وظيفة الشخصية يعود لاسباب نفسية نتيجة حالات توتر و صراع نفسي داخلي، والذي يؤدي الى اختلال جزئي في الشخصية بصورة اعراض جسمية، نفسية مختلفة و توتر في سلوك الشخص فتعوق توافقه الشخصي.

-تعريف فهمي (1967) : "اضطراب وظيفي في الشخصية يرجع اساسا الى الخبرات المؤلمة او الصدمات الانفعالية او اضطرابات الفرد مع بيئته الاجتماعية التي يتفاعل معها باللون من الخبرات المؤلمة التي تعرض لها في الماضي والحاضر و اثرها في المستقبل "

- تعرف دوشي (1967): "المرض هو الأخذ بعين الاعتبار الوضع المعاش المتأزم و الحالة المعاشة ككونها نقص أو عجز في القدرة و القوة في التمتع بالحضور في العالم الاجتماعي،

عندما يكون الفرد مريض هذا يعني أن هناك تألم أو توجع من ازعاج جسمي عقلي ،اجتماعي ".

-تعريف زهران (1974) : "المرض النفسي هو اضطراب وظيفي في الشخصية ،نفسى المنشأ يبدو في صورة أعراض نفسية و جسمية مختلفة ويؤثر في سلوك الفرد فيعوق توافقه النفسى ، ويعوقه عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه.4

- تعريف مجد أحمد (2003) : وهو يعرفه على الشكل التالي :

- من حيث الأعراض : بأنه اضطراب وظيفي في الشخصية يبدو في صورة أعراض جسمية و نفسية شتى منها : القلق ،الوساوس ،والافكار المتسلطة ،و المخاوف الشادة و الاضطرابات جسمية و حركية و حسية متعددة .

- من حيث اسبابه : انه اضطراب وظيفي ينشأ من تضافر عدة عوامل على رأسها صراعات لا شعورية في عهد الطفولة.

- من حيث هدفه: محاولة شادة تستهدف حل أزمة نفسية محاولة لتجنب القلق أو درئه و هي محاولة قد تفلح في هدفها هذا بقدر قليل او كبير، أو يكون محاولة خائبة لا تجدي نفعا في هدفها هذا بقدر قليل أو كبير او تكون محاولة خائبة لا تجدي نفعا في خفض القلق بل تزيده شدة و اصرارا.5

2- أشكال المرض في الاطار النفسى :

حسب دليل تشخيص الامراض النفسية للجمعية المصرية تصنف الامراض النفسية كاتالي:6

1-الامراض العصائية: هي عبارة عن مرض نفسى اقل خطورة من الذهان ، لا يوجد فيه تفكك ملحوظ في الشخصية ،فالجهاز النفسى هو الذى يكون في غالب الاحيان مختل التوازن ، و القدرة الذهنية تكون مخزنة بدون اختلال في النضام العلائقي الموجود ، فالاتصال بالواقع يبقى سليم و الامراض العصائية هي كثيرة و متنوعة من أهمها :

1-1. عصاب القلق :

هو حالة توتر شامل و مستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي قد يحدث و يصحب هذه الحالة خوف غامض و اعراض نفسية ، جسمية ،ويمكن اعتبار القلق انفعالا مركبا من خوف و توقع التهديد و الخطر .

2-1. عصاب الهستيريا :

هي عصاب تحولي ، تتحول فيه الانفعالات المزمنة الى اعراض جسمية ليس لها اساس عضوي .

3-1. عصاب الرهابي : هو خوف مرضي دائم من وضع او موضوع ، غير مخيف بطبيعته ولا يستند على اساس واقعي .

4-1. عصاب الصدمة : ينشأ عند تعرض الفرد لصدمة انفعالية أو جسمية شديدة و من أعراضه :
انفعالات ، حالة ذهول ، حالة قلق و حصر ، اضطرابات وظيفية و غيرها من الاعراض .

5-1. العصاب الاكتئابي :

6-1. عصاب الوسواس القهري : تنشأ فيه أفكار و استهجمات وسواسية و نزاعات تسيطر على تفكير المريض وتفرض نفسها عليه.7

2 امراض الذهانية :

هي امراض عقلية خطيرة تتميز بفقدان الاتصال مع الواقع و تدهور متعمق في العلاقات الداخلية ، اذ هو عدم التكيف الذاتي و الاجتماعي للفرد.

2-1.الذهان العضوي :

هو مرض عقلي بسبب عوامل عضوية يرتبط بتلف في الجهاز العصبي ووظائفه و من اهمها :

-اضطرابات الايض

-نقص الفيتامينات

-امراض الغدد الصماء

-نقص الاكسجين في الدم

-اضطرابات الاملاح و المعادن في الجسم

-أمراض الشرايين المخ

- امراض المعدية و الحميات

-ذهان الحمل و الولادة

-امراض الجهاز العصبي

-الشلل الاهتزازي

-الصرع

-ذهان السموم

2-2. الذهان الوظيفي :

يشمل الحالات المرضية نفسية او وراشية او دماغية المنشأ أي تلك الحالات التي لم يثبت سبب حدوثها بدقة و من بينها مايلي :

-الفصام : هو حالة مرضية تتميز بانقطاع الاتصال مع العالم المحيط به و انسحابه من الواقع أي فقدان لتقدير الذات شعور غير محتمل يحرك فكرة الهروب من الواقع.

3. الصحة و المرض من الناحية التقليدية:

أ-تعريف الصحة : في التطبيق التقليدي يعرفان الصحة و المرض على حسب الظواهر أو الازمات النفسية او العملية ، الاجتماعية كانت او علائقية او طبيعية .

كما ترتبط الصحة دائما بالحالة الجيدة المنتجة للادماج و تأقلم الجيد للفرد داخل محيطه .

فالفرد الذي يمتاز بصحة جيدة هو الذي لا يشتكي من صلابته و مقاومة مدى استمرارية في الوجود ، وهو الذي يتكيف في مجتمعه في جو تفاهم و راحة بعيدا عن كل تهجم في الوسط الاجتماعي و النفسي الذي يعيشه سواء من جهة السلوكات او منهج حياته .

فيحترم الفرد السليم مستقبله في خضوعه للقوانين و العادات و التقاليد ، و الصحة هي تمتع الرد في الحياة السوية الخالية من الامراض و العلل ، و من الانحرافات و من الفرقة و الانقسام و من الجنوح و الانحراف .

ب- تعريف المرض : هو نتيجة قوى شيطانية مهما تكن طبيعة الظاهرة الخارجية ، و المرض نوعان :

مرض الجسم ومرض القلب .

و البدن ثلاث احوال وهي كالتالي : حالة طبيعية ، حالة خارجة عن الطبيعة والحالة المتوسطة بين الامرين ، فالحالة الطبيعية يكون البدن جيد صحيا و الثانية يكون بها مريضا و الحالة الثالثة متوسطة بين الحالتين و اسباب اختلال الجسم هي كثيرة و متنوعة ، فقد لاحظ الانسان منذ العصور القديمة انه يصاب بالخلجل و الجنون أو البلاءة أو اللعنة ، و انه يصاب بالحزن أو القلق و الغضب ، فسعى الى معرفة و تفسير هذه الظاهرة الغامضة ظاهرة المرض .8

ج-اشكال المرض في الاطار التقليدي : في اغلب الحالات يكون المرض على شكل هجوم شيطاني ، فهو ظاهرة معروفة جدا في الطب التقليدي و متناول خاصة عند الطلبة ، يدل هذا على الاضطراب ، حيث يكون سببه الجن وهو كائن مخفي يمس الفرد بسبب معين و انواع الهجوم الشيطاني و هي كالتالي :

1-التملك (الامتلاك): هو امر ميسر من طرف الجن الذي يمتلك الجسم او روح فرد ما ، فيتحكم فيه و يخضعه لأوامره ، يدعى المريض بالمسكون ، المضروب ، المجنون .

يتحقق هجوم الجن في ظروف معينة و اوقات معينة مثلا في برك الماء ، البحيرات ، عند غروب الشمس ، او رمي الماء الساخن في المجاري المائية بدون قراءة الدعاء، فنلاحظ ان هذه الاماكن في هذه الاوقات تكون خالية فلهذا السبب تعتبر الاماكن المظلمة للجن انها غير متردد عليها من طرف الانسان .

التملك يظهر بصفات معينة ، فمظاهره تكون دورية ، ففي فترة النوبة يبجو المريض ليس ذاته ، فنلاحظ ان هناك خلط في الهوية ، عجز على مستوى الذاكرة ، نطق او كلام غريب .فالمريض يتكلم عن اشياء بلغة غير مفهومة و غير متناسقة ، ففي هذه الحالة على حسب العامة ان الجن هو الذي يتكلم عن طريق لسان المريض و ان كل سلوك يقوم به يكون امرا من طرفه .

9-الخطف : يتعلق هذا الامر ايضا بهجوم شيطاني على فرد ما ، و لكن في هذه الحالة لا يكون للجن

السيطرة المطلقة على الفرد فالجن يكتفي بسحر الذهن و التخلي الشارد المتجرد من كل منطق .
المخطوف هو الفرد الذي يضل غائب الذهن يبدو له المكان الذي يعيش فيه غريب و كأنه في مكان آخر ، بدون أي علامة تدله على معرفة العالم الذي يكون فيه ويتميز بعدم الاهتمام و اللامبالاة .

فينفصل عن الواقع و يكون لديه فقر علائقي ، يمكن للخطف ان ينتج عن الخلعة التي هي بدورها تكون نتيجة لخسارة او فشل غير محتمل او فقدان شخص عزيز جدا و هذا ما قد يؤدي للخطف .

7-الربط:وهو عمل سحري يعمله الشيخ او امرأة كبيرة في السن لها خبرتها في الحياة، يزعم الناس انه يعيق الرجل او المرأة عن الاتيان بالعملية الجنسية يلجئ المربوط الى الشيخ او المرأة لتحل هذا الربط وذلك بحرق خيط النيرة المصنوع من صوف خلالة التي تصنع بها الزرابي ويتناول مع العسل فيعود الرجل الى طبيعته الاولى هذه الظاهرة معروفة في المناطق القروية.10

4- تقارب الاعراض المرضية بين العلاج التقليدي و النفسى :

1-المس مع المستيريا او الفصام:

المس هي ظاهرة جد منتشرة في مجتمعنا، يظهر لنا في الجدول الأكلينيكي متشابه مع

الفصام بتقديم الأعراض التالية

أ- المس مع الفصام

-التناقض

— انعدام الشخصية

— الانقطاع مع العالم الخارجي

— يشكل عالم خاص به

— التفكك

— الهديان

— الهوسة

— لغة غير مفهومة

— يقول أشياء ليست حقيقة

ب-المس مع المستيريا:

ظهور تصرفات وسلوكيات مسرحية و يلاحظ هذا خاصة عند الاناث أكثر من الذكور.

انعدام الشخصية الناتجة عن الخطورة التي تصل اليها الحالة الشفقية.

يمكن القول ان المس يصنف ضمن الذهان وكذلك ضمن العصاب.

2- الخطف مع الفصاموية

يظهر الخطف ب:

الغربة يشعر الانسان بانه غريب في بيته و وطنه .

انقطاع عن الواقع لا يتكلم كثيرا و يحب الوحدة و كانه في عالمه الخاص.

فقدان التوجه الزماني المكاني لا يعرف لا الزمان و لا المكان.

اللامبالاة و فقر علائقي في الاتصال و النوع من هذا الفصامية له نفس اعراض الخطف.

3-الهبال / الاختلاط العقلي:

يتميز الهبال باضطراب في الوعي و تدهور في الادراك و سلوكات الشك التي تقود الفرد ال الهروب و احيانا الى العزلة.

فتجد هذه الاعراض في الخلط الخلقي

4- الخلعة / الصدمة الوجدانية:

تعتبر الخلعة اضطراب عميق تظهر في البداية بسبب صدمة عاطفية يعيشها الفرد وتكون غير منتظرة ك وفاة الزوج في حادث مرور.

اعراض الخلعة:

اضطراب في النوم مصحوب بكوابيس وارتجاف طوال الليل فالخلعة تتقارب بنفس اعراض الصدمة الوجدانية.

5- الربط / الكف الجنسي:

هي ظاهرة متداولة في مجتمعا وخاصة في اثناء ليلة العرس او بالأحرى الزفاف يعرف بأنها عجز جنسي من طرف الزوج او الزوجة لإكمال مهمة تلك الليلة و بالتالي لا يوجد أي اضطراب عضوي بسبب تلك الحالة و بما أنها تكون مؤقتة احيانا فهي تبرهن عل عدم وجود أي سبب عضوي.

هذا العجز النفسي الجنسي منعدم الاسباب العضوية يجعلنا اطلاقا نفكر مباشرة في الكف الجنسي الخاص بالعصابات و التي يظهر بنفس الطريقة.

6- الخوف/ عصاب القلق: يشترك الخوف مع اعصاب القلق في الاختناق ، ففي الاعراض نجد الخوف بدون سبب و حاد بالإضافة ال اضطرابات النوم،اختناق و صعوبة في النوم اختناق و صعوبة في التنفس،وتقلص العضلات فهي قريبة من اعصاب القلق.

7- السهد: السهد يظهر في الفشل بدون سبب ونقص في الحركات وتعب شديد دائم بدون سبب ونستطيع بذلك تقاربه مع السهد.

8- الرجفة/ عدم الثبات النفسي الحركي: تتمثل الرجفة في نقص التركيز و الثبات بتنقل مستمر مع تقابض عضلي مفرط، وهذا يذكرنا بعدم الثبات النفسي الحركي.

لكننا نعلم ان عدم الثبات النفسي الحركي نجده خاصة عند الأطفال ولدراستي تقارب الامراض في الطار التقليدي لاحظت ان الرجفة متردة خاصة عند الراشدين، و في رأيي هو عبارة عن نكوص الى مرحلة الطفولة، مستعمل لاشعوريا عند الراشد ليعبر عن تضايقه لعدم ارتياحه في مجتمعه¹¹.

9- ام الصبيان / الصرع الطفولي: تيدا و تنتهي بشكل مفاجئ تكون سريعة العبور، فهي حالة غروبية تتسم باندهاش شديد احيانا دون فقدان التوجه و يظل فيه النشاط منتظما عموما وقد تتخذ لها اهلاس و هديانات مع سلوكات عنيفة، قد يحدث المرض من القدم الى الراس حتى اذا وصل الى الدماغ صرع الانسان حتى يسقط وان كان قائما يقوم الطفل بتنقلات و رحلات غير عادية دون وعي وعندما يعود الى حالته الطبيعية لا يدرك ما حدث له¹².

الهوامش:

- 1-عبد السلام عبد الغفار،مقدمة في الصحة النفسية ، دار النهضة، مصر، 1996 ، ص 19.
- 2-احمد محمد عبد الخالق، اصول الصحة النفسية دار المعرفة،مصر، 2001، ص 27
- 3- حامد زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي،دار المعارف،1988،ص 9.
- 4 - حسن مصطفى عبد المعطي، علم النفس الاكلينيكي، دار القيادة،مصر،1998،ص 3. 5- محمد جاسم محمد، المدخل الى علم النفس العام،دار الثقافة، عمان،2004،ص 120.
- 6- مجدي احمد محمد عبد الله، الاضطرابات النفسية للاطفال، دار المعرفة،مصر،1996،ص 41
- 7- دونجي،العصاب و الاضطرابات النفسجسدية، دار مجادا، بروكسل،1997،ص 28.
- 8-ابن القيم الجوزية، الطب النفسي ، دار النهضة ، القاهرة 1980،ص 7.
- 9- بوسبسي،المرض العقلي و الاعاقة العقلية، دار النشر الجزائر ، 1984،ص 120
- 10-وحيد عبد السلام بالي،الصارم البتار في التصدي للسحرة الاشرار،دار الامام مالك، مصر،1997،ص 105.
- 11- جون بارجوري، الشخصية العادية و المرضية ، دار بورداس،فرنسا،1974،ص 180.

12- محمود هاشم الودزني، مدخل الى الطب النفسي و علم النفس
المرضي، دمشق، 1986، ص 323.